

الجنة هي ظهور النفس الإنسانية: هل ندخل مكاناً سوى ما صنعناه؟

الجنة هي ظهور النفس الإنسانية: استكشاف الجنة كحقيقة تتشكل داخلنا

أين تقع الجنة؟ هل فكرت يوماً في حقيقتها؟ حين ننتقل من الدنيا إلى الآخرة، إلى أين نذهب بالضبط؟ أهى مكانٌ خارجيٌّ أَعَدَّ لنا مسبقاً، أم أنّها تتجلى من أعماق أنفسنا؟ وإذا كنا من أهل الجنة، فكيف تُبنى هذه الجنة؟ ما الذي يشكّلها وكيف يمكن تعريفها؟ قد تكون مثل هذه التساؤلات راودتك أيضاً. نحن دائماً في سعيٍ لاكتشاف الحقائق عن مصيرنا ومقامنا الأبدي، ونريد أن نعرف إلى أيّ مكان نولد مع دخولنا الآخرة. توجد آراءٌ متباينة حول سبب دخول الجنة؛ فبعضهم يرى أنّ الالتزام بقواعد الدين أو التحلّي بالصلاح يُفزي إلى دخول مكانٍ يُسمّى الجنة في الآخرة والتمتّع بِنِعْمِهِ. غير أنّ الحقيقة أنّ الجنة هي ظهور النفس الإنسانية. ويذهب العرفاء إلى أنّ الجنة في ذات المؤمن، لا أنّ الإنسان هو الذي يكون في الجنة. ومن هذا المنظور، تُعرّف الجنة بأنّها تجلّي النفس الإنسانية؛ يرون الجنة انعكاساً لوجود حقيقي للإنسان الذي صاغه في الدنيا. وهذا يعني أنّ كلّ واحدٍ منّا سيحظى بالجنة التي بناها لنفسه في حياته الدنيوية. إنّ الجنة ظهورٌ لنفوسنا ويتجلّى هذا الأمر في الآخرة بأكمل صورة. في هذه المقالة سنبحث كيف تكون النفس البشرية خالقة لجنّتها وجحيمها. فالجنة ليست مكاناً خارجياً مُعَدّاً مسبقاً، بل هي ثمرةٌ عمُرٍ من الجهد الداخلي الذي نبذله في الدنيا. وهل يمكن أن يُولّد الإنسان في مكانٍ لم يصنعه بنفسه؟ يدعونا هذا السؤال، وأسئلة طرحناها في مطلع المقال، إلى تأمّلٍ عميقٍ في ماهية الجنة ودور النفس في تشكيلها.

ولادة الإنسان إلى ذاته

انطلاقاً من "[قانون النسبة](#)"، الذي يُشبهه العلاقة بين الدنيا والآخرة بعلاقة الجنين برحم الأم، تُدرك أنّ الجنّة هي ظهور النفس الإنسانية في الآخرة وأنّ الحياة الدنيا ليست سوى مرحلة إعداد وتكوين لما سيُلاقينا في الآخرة. فكما ينمو الجنين في رحم أمه ليُشكّل جسده الذي يولد به إلى الدنيا، كذلك الإنسان في حياته الدنيوية يُشكّل ذاته (نفسه) التي ستتجلّى له في الآخرة.

عند ولادة الجنين، إذا شهِبنا سلامته الجسدية بالجنة واعتبرنا أي نقص أو مرض يعتره انعكاساً للجحيم، يبرز التساؤل التالي: بأي ظروف، أو بالأحرى بأي جسد، يرى الجنين النور؟ هل يمكن الزعم بأن جسد الجنين

هو أمرٌ صنع له من قِبَلٍ آخر، ولم يكن له أي دور في تشكيله؟ هل يمكن القول بأن جودة بناء جسد الجنين داخل رحم الأم لا تحمل أي أهمية، وأنه سيولد بجسد سليم تحت أي ظرف من الظروف؟ وهل يمكن تجاهل أن جودة حياة الجنين خلال الفترة الرحمية تؤثر تأثيرًا مباشرًا على سلامته أو مرضه عند الولادة؟ من المسلم به منطقيًا أن فترة الحمل لا يمكن أن تُعدّ هامشية فيما يتعلق بالجنين. إذ نتفق جميعًا على أن الجنين يولد بجسد يصنعه نفسه بالكامل داخل رحم الأم، وهو حصيلة التغذية الملائمة والضرورية، والحفاظ على الظروف المثلى لتكوين الأعضاء ونموها ووظائفها. فليست جنته أو جحيمه أمرًا مفروضًا عليه من الخارج؛ بل إن صحته أو سقمه إنما هما نتاج أعماله وطبيعته في تلك المرحلة، وهو ما يحمله معه إلى الدنيا.

وعلى نحو مماثل، تتخذ الدنيا خاصية الرحم إزاء الآخرة، حيث يشكل الإنسان ذاته فيها استعدادًا لدخولها. فكل فعل، وكل معتقد، وكل فكر يسهم في تشكيل النفس الإنسانية، يضح بذلك لبنات بناء جنته أو جحيمه. ليست الجنة كيانًا خارجيًا أو مكانًا مُعدًا مسبقًا ندخله؛ بل هي انعكاس لوجودنا الذاتي، ونحن في كل لحظة من لحظات الدنيا نبنيناها. وهكذا، فالجنة هي تجلٍ للنفس، وكل إنسان يولد إلى مصيره تبعًا لنفسه التي كوّنّها. وبالمثل، فإن الدنيا تُشبه الرحم بالنسبة إلى الآخرة. ففيها يُعيد الإنسان تشكيل نفسه استعدادًا للولادة الثانية. فكل عملٍ يقوم به، وكل اعتقادٍ يحمله، وكل فكرةٍ تدور في ذهنه، تشكّل نسيج نفسه وتضع اللبنة التي ستبني جنّته أو جحيمه. فالجنة ليست مكانًا خارجيًا جاهزًا ندخله، بل هي انعكاسٌ لذواتنا، وصورةٌ لوجودنا الذي نصنعه في كل لحظةٍ من حياتنا الدنيوية. ومن هنا، يمكن القول: إنّ الجنة ظهور النفس الانسانية، وأنّ كل إنسان يولد إلى ذاته التي صنعها بنفسه .

كل شيء كامنٌ في نفوسنا

لقد بيّنا سابقًا أن الجنة تُعد تجليًا لنفوسنا، ولكن ما هو التركيب الجوهري لهذه النفس الذي يؤهلها لتكون مصدرًا لكل من الجنة والنار؟ وما هيّة النفس ذاتها؟ في مقال ["نفوسنا هي قبورنا"](#)، أشرنا إلى أن القبر يتطابق مع مفهوم النفس التي نبنيناها في الحياة الدنيا. فإذا كنا نتطلع إلى جنّة ذاتِ نعمٍ لا تُحصى، لابدّ علينا بناء هذه الجنة في الدنيا هذه. أما إذا كانت حياتنا الدنيوية مُحفوفةً بالضغوط والشدائد، فإننا بعد الموت وعند دخول الآخرة، سنكون في ضيافة ما قدّمناه سلفًا من أعمال، وسنُعاني من ذات الضغوط الأخروية.

تخيّل نفسك بستانيًا أعطي أرضًا خاوية. أنت تختار ما تزرعه، متأثرًا بالظروف المحيطة والمناخ. فإذا رغبت في حديقة خضراء، غناء، بهيجة، عامرة بالثمار، فعليك أن تنتقي بذورًا سليمة، تسقيها في أوقاتها، توقّر لها شروط النمو، وتحميها من الآفات. عندها ستنعم بحديقة يانعة، عابقة بالروائح، مليئة بالجمال والتمتع. لكن إن كانت البذور فاسدة، أو أهملت البستان، فلن تحصد إلا على أرض يابسة، عقيمة، مليئة بالأشواك والأعشاب الضارة. إنّ جودة الحديقة انعكاسٌ مباشر لجهودك و خياراتك وأفعالك.

وهكذا، يتبيّن لنا أنّ الجنة ليست سوى انعكاسٍ للنفس الانسانية. فكما يزرع البستاني حديقته، نحن نزرع جنّتنا أو جحيمنا في الدنيا. فكل نيةٍ صالحة، وعملٍ طيب، وخلقٍ كريم هو بذرة سعادة تُغرس في أعماقنا، لتتحوّل بعد الموت إلى حديقةٍ أبدية، هي الجنة. وفي المقابل، إذا ملأنا حياتنا بالأعمال السيئة، والنيات الفاسدة، والأخلاق المظلمة، فإن نفوسنا ستثمر ثمارًا مُرّة، وتغدو حديقةً موبوءة بالأشواك، وهي الجحيم الذي نلاقه في الآخرة.

هذا المنظور يمنحنا صورة مغايرة عن الجنة: فهي ليست مكانًا خارجيًا مُعدًّا لنا سلفًا، بل هي تجلّ لحقيقة نفوسنا. نحن الآن في حالة بناءٍ دائم لذواتنا. كل فكرةٍ نخطر على بالنا، كل شعورٍ نحمله، وكل فعلٍ نمارسه، هو حجرٌ يُشيّد به عالمنا المستقبلي. بعبارةٍ أخرى: الآخرة هي اللحظة التي نواجه فيها ما بنته نفوسنا. هذا يضع على عاتقنا مسؤوليةً عظيمة في الدنيا: لا توجد حقيقة خارجة عن ذواتنا تنتظرنا، بل نحن نصنع حقيقتنا بأيدينا. فإذا عمرنا حياتنا بالحب، والخير، والعدل، وازدهرت نفوسنا بالنور، سنولد في عالمٍ مفعمٍ بالجمال والسلام. أما إذا شكّلنا وجودنا بالكراهية والحقد، فلن نصنع لأنفسنا سوى عالمٍ من الألم والظلام. لذلك، عندما نسأل: أين هي الجنة؟ تكون الإجابة أنّها ظهور نفوسنا. فالنفس الانسانية جوهرٌ عظيم، يفيض كل شيءٍ منه من الداخل إلى الخارج، وفي النهاية لن نصحب معنا سوى ما بنيناه في أعماقنا.